المقدمة

الحمد الله الذي أنزل على عبده الكتاب ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المنزل عليه هذا القرآن ليبينه للناس بأمر ربه ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ النحل: ٤٤ فأزال معالم الوثنية والضلال، وأعلى منار التوحيد والإيمان وعلى آله وصحبه نجوم الهدى ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فإن تأثير القرآن الكريم في القلوب قد بلغ مبلغا عظيما لم يعرف قبله ولا بعده كلام قط، إذ تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم روعة وخشية وتعتريهم هيبة وتهيمن عليهم عظمته، بل قد كان أثره على الجاحدين أبلغ وأظهر، إذ يقرعهم عن ضلالهم ويقيم عليهم حججاً لا معقب لها فيستثقلون سماعه ويتولون عنه بنفور مدبرين كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ الإسراء: ٤٦. فتأثر المشركين والكافرين غالباً يكون نفوراً وإعراضاً، أو إلقاء الحجج الواهية التي يقصدون بها التعجيز لقارئه أو النيل من النص القرآني نفسه كما نرى ذلك عند اليهود والمنافقين ومن شاكلهم.لقد أحببت أن أشارك في هذا المؤتمر المبارك فيما يتعلق بتأثير القرآن وأثره في النفوس. ويهدف البحث إلى التعريف بتأثير القرآن في النفس الإنسانية كما يهدف إلى بيان مراتب هذا التأثير، وإظهار بعض جوانب تأثير القرآن الكريم على سامعيه، وإبراز أهم الوقائع لهذا التأثير.وقد اقتضى العمل

في هذا البحث أن يكون من مقدمة ومباحث ومطالب وخاتمة ثم ذيلتها بفهارس للمراجع والمصادر على الشكل التالي

مقدمة:

المبحث الأول: تأثير القرآن الكريم في المؤمنين

المبحث الثاني: تأثير القرآن الكريم في الصحابة الكرام

المبحث الثالث: تأثير القرآن الكريم في العلماء والصالحين

المبحث الرابع: تأثير القرآن الكريم في غير المؤمنين

تمهيد:

إنَّ تأثير القرآن الكريم في القلوب قد بلغ مبلغًا عظيمًا لم يعرف قبله ولا بعده كلام قط، إذ تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم روعةً وخشيةً وتعتريهم هيبة وتهيمن عليهم عظمته، ونرى آثاره على الجاحدين أبلغ وأظهر، إذ يقرعهم عن ضلالهم ويقيم عليهم حججاً لا معقب لها فيستثقلون سماعه ويتولون عنه بنفور مدبرين(١) كما أخبر الله تعالى: عنهم: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ الإسراء: ٤١ وقال تعالى أيضا: ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ الإسراء: ٤٦ .

فتأثر المشركين والكافرين غالباً ما يكون نفورًا وإعراضًا،أو إلقاء الحجج الواهية التي يقصدون بها التعجيز لقارئه أو النيل من النص القرآني نفسه كما نرى عند اليهود والمنافقين ومن شاكلهم.

---

(١) القاضي عياض: أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي ١٤١٥ه -١٩٩٥م كتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى البنان :دار الفكر ج١ ص٢٠٧ -٢٠٨

المبحث الاول: تأثير القرآن الكريم في المؤمنين

قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: (كان أصحاب النبي ﷺ "إذا قرئ عليهم القرآن كما نعتهم الله تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم، قيل لها: فإنَّ أناساً اليوم إذا قُرئ عليهم القرآن خَر أحدهم مغشيًا عليه)[١].فهذه صفة الأبرار عند سماعهم كلام الجبار المهيمن العزيز الغفار لما يفهمونه من الوعد والوعيد والتخويف والتهديد، تقشعِرُّ منه جلودهم من الخشية والخوف، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه[٢]روى البيهقي في الشعب بسنده أن أبا بكر ابتنى مسجداً بفناء داره بمكة وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيقف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يتعجبون منه وينظرون إليه وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن.[٣]

وعن عروة بن الزبير قال قلت لجدتي أسماء كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سمعوا القرآن، قالت: تدمع عيونهم وتقشعر جلودهم كما نعتهم الله[٤].

---

(١) الآلوسي. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج٩، ص١٦٥، القرطبي، أبو محمد عبد الله محمد بن احمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ج٧، ص٢٩٨، مرجع سابق.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. ١٩٨٠م. تفسير القرآن العظيم. ، ج٤، ص٥٢ مرجع سابق.

(٣) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، ١٤١٠، شعب الإيمان، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول ص٢٥.

(٤) البيهقي، ١٤١٠م، شعب الإيمان، ص ٣٦٥.

هذا هو حال الصحابة – رضوان الله عليهم – لم يكن هَـمُّ أحـدهم آخـر السورة و لم يكن همّه عدد ما يختم من القرآن.أبو بكر الصديق: روى البخـاري بسنده عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: إن رسول الله ﷺ قـال في مرضـه: مروا أبا بكر يصلي بالناس قالت عائشة: قلت إن أبا بكر إذا قام في مقامـك لم يسمع الناس من البكاء فَمُرْ عمر يصلي بالناس فقالت عائشة: فقلت لحفصة قولي له إن أبا بكر في مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصـل بالنـاس ففعلت حفصة فقال رسول الله ﷺ: مه إنكن لأنتن صواحب يوسف مُرُوا أبـا بكر فليصل بالناس فقالت حفصة لعائشة ماكنت لأصيب منك خيراً[1].

وفي رواية قالت عائشة: إنه رجل رقيق إذا قرأ غلبه البكاء وفي رواية فقيل له أي للنبي ﷺ إن أبا بكر رجل أسيف إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس. قال الحافظ ابن حجر قولها: "رقيق" أي رقيق القلب وقوله "أسيف" بوزن فعيل وهو بمعنى فاعل من الأسف وهو شدة الحزن والمراد أنه رقيق القلب[2].

عمر بن الخطاب: كان للقرآن موقع عظيم في حياة عمر فقد أسلم رضي الله عنه عندما سمع آيات من سورة طه فكان إسلامه عزاً للإسلام والمسلمين وكم سمعنا بأخبار قوته وشدته في دين الله وغيرته على حرمات الله وعن زهده وورعه وعن عدله وتواضعه. أما عن حاله مع القرآن فلا تسأل عنها فقد كان رضي الله

---

(١) العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٢٠١١م بيروت: دار المعرفة ٢ / ١٦٤.

(٢) العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢/ ١٥١، ١٥٣، ١٦٥.

عنه وقّافا عند آياته بكاءً عند تلاوته سريعًا في استحضارها معظما لشأنها وإليك شيئا مما أثر عنه.

عن عبد الله بن شداد قال: سمعت نشيج عمر وأنا في آخر الصفوف في صلاة الصبح، وهو يقرأ سورة يوسف حتى بلغ ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ يوسف: ٨٦ ، وبكى حتى سالت دموعه على ترقوته[١].

قال النوويّ رحمه الله وفي رواية أنه كان في صلاة العشاء فتدل على تكريره منه[٢].

وعن هشام ابن الحسين قال: كان عمر بن الخطاب رضي عنه يمر بالآية في ورده فتخيفه وفي بعض الروايات فتخنقه، فيبكي حتى يسقط ويلزم بيته اليوم واليومين حتى يعاد ويحسبونه مريضًا. وعن أبي معمر أن عمر قرأ سورة مريم فسجد ثم قال: هذا السجود فأين البكاء[٣] يعني عند قوله تعالى: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ مريم: ٥٨ وكان رضي الله عنه يعيش القرآن في كل حركاته وسكناته. مرَّ بدير راهب فناداه يا راهب فأشرف فجعل عمر ينظر إليه ويبكي فقيل له يا أمير المؤمنين ما يبكيك من هذا؟ قال ذكرت قول الله –عز

---

(١) البيهقي، شعب الإيمان ٢ / ٣٦٤ .

(٢) النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف الدين، ، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، التبيان في آداب حملة القرآن، دمشق: الوكالة العامة للتوزيع، ط١ص٤٧.

(٣) البيهقي، شعب الإيمان ٢ / ٣٦٤ .

وجل- في كتابه ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ الغاشية: ٢ -٤ فذاك الذي أبكاني[١]

وكان يذكر بالقرآن ويعظ بآياته ويدرك أثرها إذا صدرت بصدق من قائلها ونسوق شاهدًا على ذلك هذه القصة التي ساقها ابن كثير في تفسير أول سورة غافر قال رحمه الله: كان رجل من أهل الشام ذو بأس وكان يفد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ففقده عمر فقال: ما فعل فلان؟ فقالوا يا أمير المؤمنين تتابع في هذا الشراب قال فدعا عمر كاتبه فقال: اكتب من عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى فلان بن فلان سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ثم قال لأصحابه ادعوا الله لأخيكم أن يقبل بقلبه ويتوب الله عليه فلما بلغ الرجل كتاب عمر (جعل يقرأه ويردده ويقول: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ غافر: ٣ قد حذرني عقوبته ووعدني أن يغفر لي فلم يزل يرددها على نفسه ثم بكى ثم نزع فأحسن النزع فلما بلغ عمر خبره قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخًا لكم زل زلة فسددوه وادعوا الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوان الشيطان عليه.

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، ١٤٢٠ ١٩٩٩، تفسير القرآن العظيم السعودية: دار طيبة، ٧ / ٢٧٥.

عائشة رضي الله عنها عن القاسم قال: كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة -رضي الله عنها- فأسلم عليها فغدوت يومًا فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ الطور: ٢٦ - ٢٧ وتدعو وتبكي وترددها فقمت حتى مللت القيام فذهبت إلى السوق لحاجتي ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي - رضي الله عنها -. والقاسم هو ابن أخيها محمد بن أبي بكر رضي الله عنهم.

عبد الله بن عباس: قال ابن أبي مليكة قرأ ابن عباس: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ ق: ١٩ فجعل يرتل ويكثر في ذلكم النشيج[1].

عبد الله بن عمر: وعن نافع قال ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين قط من آخر سورة البقرة إلا بكى ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾البقرة: ٢٨٤ . وذكر نافع أيضًا أن ابن عمر إذا قرأ: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ الحديد: ١٦ بكى حتى يغلبه

(١) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، (٢٠١)، ١٤١٥ هـ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٤، ١ / ٣٢٧.

البكاء[١]. وقرأ عبد الله بن عمر ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ المطففين: ١ –حتى بلغ – ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ المطففين: ٦ فبكى حتى خر وامتنع عن قراءة ما بعدها [٢].

وعن سمير الرياحيِّ عن أبيه قال شرب عبد الله بن عمر ماءً مبرداً فبكى فاشتد بكاؤه فقيل ما يبكيك؟ فقال ذكرت آية في كتاب الله عز وجل ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾ سبأ: ٥٤ فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئا وإن شهوتهم الماء وقد قال الله عز وجل: ﴿ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ الأعراف: ٥٠ [٣].

وكان ابن عمر يصلي بالليل فيمر بآية فيها ذكر الجنة فيقف فيسأل الله الجنة ويدعو وربما بكى ويمر بآية فيها ذكر النار فيقف ويتعوذ بالله من النار ويدعو وربما بكى[٤].

أبو موسى الأشعري: وكان أبو موسى الأشعري إذا قرأ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ الانفطار: ٦ قال يعني الجهل ويبكي وإذا قرأ قوله تعالى:

---

(١) البيهقي، شعب الإيمان ٢ / ٣٦٥.

(٢) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ـــ١٣٩٩ هـــ، ١٩٧٩ م، صـــفة الصـــفوة: بيروت: دار المعرفة، ط٢، ١ / ٢٩٤.

(٣) ابن الجوزي، صفة الصفوة، ١/ ٢٩٤.

(٤) المروزي، محمد بن نصر، مختصر قيام الليل، الرياض: مكتبة المنار، ط١، سنة الطبع: ١٤١٣هـــــ ص ٦١.

﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ الكهف: ٥٠ بكى[١].

عبد الرحمن بن عوف: أما عبد الرحمن بن عوف فيحدث عنه ابن عباس رضي الله عنهما قال: لم أرَ رجلاً يجد من القشعريرة ما يجد عبد الرحمن عند القراءة[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما نزلت: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴾ النجم: ٥٩ بكى أهل الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم[٣].

وكان من هدي الصحابة (التأسي برسول الله ﷺ في ترديد آيات الله فقد روى الإمام أحمد بسنده عن أبي ذر (قال: صلى النبي ﷺ ذات ليلة فقرأ بآية حتى أصبح يركع بها ويسجد بها: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ المائدة: ١١٨ .

فلما أصبح قلت يا رسول الله مازلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها؟ قال إني سألت ربي الشفاعة لأمتي فأعطانيها وهي نائلة إن شاء الله لمن لا يشرك بالله شيئًا. رواه النسائي وابن ماجة.

---

(١) البيهقي، شعب الإيمان ٢ / ٣٦٥.

(٢) المروزي، محمد بن نصر، مختصر قيام الليل، الرياض: مكتبة المنار، ط١، سنة الطبع: ١٤١٣هـ ٦٢.

(٣) رواه البيهقي في شعب الايمان، مرجع سابق ص ٣٥.

وقد مر بنا أن عائشة –رضي الله عنها– كانت تردد قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ الطور: ٢٦ – ٢٧ وقام أبو الدرداء ليلة بآية حتى أصبح وهي ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ الجاثية:٢١ .

وردد ابن مسعود ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ طه: ١١٤ [(١)]. وعن صفوان بن سليم قال: قام تميم الداري في المسجد بعد أن صلى العشاء فمر بهذه الآية: ﴿ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ المؤمنون: ١٠٤ فما خرج منها حتى سمع آذان الصبح[(٢)].

وأتى تميم الداريّ المقام فاستفتح الجاثية فلما بلغ ﴿ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ الجاثية:٢١ جعل يرددها حتى أصبح [(٣)].

---

(١) النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف الدين، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، التبيان في آداب حملة القرآن، دمشق: الوكالة العامة للتوزيع، ط١.ص: ٨٦.

(٢) ابن الجوزي صفة الصفوة: ١ / ص: ٣٧٥.

(٣) المروزي، محمد بن نصر، مختصر قيام الليل، ٦٥.

وقام عمرو بن عتبة بن فرقد ليلة فاستفتح "حم" فأتى على هذه الآية ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ غافر: ١٨ فما جاوزها حتى أصبح [١].

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩ .

قال القرطبي رحمه الله: "في هذه الآية دلالة على أن لآيات الرحمن تأثير في القلوب".[٢] وأقول وشفاء لما في الصدور. قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ الزمر: ٢٣ ،وهي سمة واضحة للعلماء الربانيين وهي الخشية والتأثر بالقرآن الكريم عند الاستماع لآياته وتدبرها وما يلازم ذلك من وجل القلب ودمع العين واقشعرار الأجسام فلا يتمالك العبد إلا أن يخر بين يدي ربه خاشعًا باكيًا ساجدًا، وهو أفضل مقام يرتفع به العبد عند الله تعالى، وهو أيضًا مظهر من مظاهر الانقياد والاستسلام

---

(١) ابن الجوزي، صفة الصفوة: ٢ / ص: ٩٣.

(٢) القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، أحكام القرآن، هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ج١١ / ص١٢٠.

المطلق لله تعالى، حبًا وشوقًا وعزةً وكرامة، وهو التماس لمدد الله ونصره وتأييده يعين الإنسان على نوائب الدهر ويهيئه إلى حياة أفضل في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وروي عن محمد بن المنكدر إنَّه بينما هو ذات ليلة يصلي، بكى، وكثر بكاؤه، ففزع أهله فتمادى في البكاء، فأرسلوا إلى صاحبه أبي حازم، فجاء إليه فإذا هو يبكي، فقال له يا أخي: ما الذي أبكاك؟ قال رُعت أهلك؟ فقال: مرت بي آية من كتاب الله عز وجل، قال ما هي؟ قال: قول الله عز وجل: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾ الزمر: ٤٧ ،فبكى معه أبو حازم واشتد بكاؤهما. إنَّها قوة التدبر وفهم المعاني اللطيفة والشعور بالطمأنينة والإيمان العميق والخشية لله سبحانه القائل سبحانه ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الحشر: ٢١ . يقول ابن كثير: "أي إنَّه لو أُنزل هذا القرآن على جبل لخشع لوعده وتصدّع لوعيده وأنتم أيها المقهورون بإعجازه لا ترغبون في وعده، ولا ترهبون من وعيده".(١).

إنَّ اطمئنان القلوب إلى ربها من خلال تدبر القرآن هي فطرة فطر الله البشرية عليها فبذكره تصل إلى مرحلة من الاطمئنان الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ الرعد: ٢٨أي القلوب تطمئن على الدوام بذكر الله؛ لأنها تسكن وتستأنس بتوحيد الله الذي بيده وحده الضر والنفع المانع القابض المحيي المميت العدل الرحيم فتطمئن)(٢).

---

(١) القرطبي، أبو محمد عبد الله محمد بن احمد الأنصاري، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م، الجامع لأحكام القرآن، تفسير الآية رقم ٢١ من سورة الحشر .

(٢) القرطبي، أبو محمد عبد الله محمد بن احمد الأنصاري، ج٩، ص٢٥٦، مرجع سابق.

ومن ثم فقلوبهم تستقر وتسكن بذكر الله و بكلامه المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسبب اطمئنان قلوبهم بذلك علمهم بأنَّ القرآن الكريم هو أعظم آية على الإطلاق(١).

إنَّها حالة تطمئن بإحساسها بالصلة بالله، والأنس بجواره، والأمن في جانبه وحماه تطمئن من قلق الوحدة وحيرة الطريق بإدراك الرحمة في الخلق والمبدأ والمصير وتطمئن بالشعور بالحماية من كل اعتداء ومن كل خروق ومن كل شر إلا بما شاء ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ الرعد: ٢٨ .

ذلك الاطمئنان بذكر الله في النفس الإنسانية حقيقة عميقة يعرفها الذين خالطت بشاشة القرآن قلوبهم فاتصلت بالله وسرت الروح القرآنية في حناياها في أعماق القلوب، عندها تستروح وتهش ويستريح إليها وتستشعر الطمأنينة والسلام.

إنَّ النفس البشرية بحاجة إلى الاطمئنان في الأمور الهامة، ليس في حياتها فحسب، بل هي تريد الاطمئنان لما بعد هذه الحياة فماذا بعد الحياة؟ يجيب القرآن على ذلك ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ الحاقة: ١٩ – ٢٤

---

(١)الآلوسي: محمود روح المعانِّي في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانيِّ، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج١٣/١٤٩.

ويجمع ذلك العلم بما نزل الوحي والعمل به فذلك هو الطريق إلى طمأنينة القلوب وسعادتها في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى مشيرًا إلى هذه الحقيقة: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ طه: ١٢٣ - ١٢٦ [(١)] ويزداد أثر القرآن في النفوس فيجعلها طيعة لأوامره منقادة لإشارته مستلهمة لما فيه تخشع أجسادهم في سجود، وتلهج ألسنتهم بذكر الله، وتنفطر أقدامهم في قيام الليل والناس نيام، وتفيض أنفسهم قبل أيديهم بالإنفاق في سبيل الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ السجدة: ١٥ - ١٦ .

والمعنى: (إنَّما يؤمن بآياتنا أي يصدق بها الذين استمعوا لها وأطاعوها قولاً وفعلاً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون عن اتباعها والانقياد لها، تتجافى جنوبهم عن المضاجع: يعني بذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيئة يدعون ربهم خوفًا من وبال عقابه وطمعًا في جزيل ثوابه)[(٢)].

---

(١) عبد الله عبد الرحمن جربوع: ٢٠٠٠م، أثر القرآن في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، مكتبة أضواء السلف، ط١، ص٣٨٣.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. ١٩٨٠م. تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار المعرفة. تحقيق محمود شاكر. ج٣/٤٥٩.

وهي صورة وضيئة للأرواح المؤمنة اللطيفة المرتجفة من خشية الله وتقواه المنحنية إلى ربها بالطاعة المتطلعة إليه بالرجاء، في غير ما استعلاء ولا استكبار، هذه الأرواح هي التي تؤمن بآيات الله وتتلقاها بالحس المتقد والقلب المستيقظ والضمير المستنير.

هؤلاء إذا ذكِّروا بآيات ربهم (خروا سجدًا) تأثرًا بما ذكِّروا به، تعظيما ً لله الذي ذُكِّروا بآياته وشعورا ً بجلاله الذي يقابل بالسجود أول ما يقابل[١].

يقول الله تعالى عن القرآن العظيم: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴾ الزمر: ٢٣ .

هذه حالة من يقبلون على القرآن الكريم بكياناتهم الشاخصة تنفعل به وتتفاعل معه، وأما الذين يصدفون (أي يعرضون) عن آيات الله ويتركونها وراء ظهورهم فقد قال الله فيهم: ﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۚ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٧ [٢].

لذا فقد عني القرآن الكريم عناية شاملة بالنفس الإنسانية بحيث أنه لم يترك زاوية من الزوايا أو جانبًا من الجوانب إلا وتعرض له، فلقد تناول (شَغَفَ) نفوس

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج، ٥ص٢٨١٢.

(٢) محمد محمود الصوَّاف: ١٩٨٧م، القرآن أنواره وآثاره وأوصافه، مؤسسة الرسالة، ط٥، ص٧٨.

الناس وقلوبهم، وعرف أنه هنا يكمن سر قوة الإنسان، فالإصلاح يبدأ منها وينتهي إليها، ولذلك فإن عناية القرآن الكريم بالنفس كانت من الشمول والاستيعاب بما يمنح الإنسان معرفة صحيحة بالنفس ـــ وقاية وعلاجًا ـــ دون حساب طاقة أخرى. أنه خالق النفس الإنسانية العليم بأسرارها وخفاياها. . إنها عناية من: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ غافر: ١٩ ، وهو القائل سبحانه ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ ق: ١٦

وترجع عناية القرآن الكريم بالنفس الإنسانية إلاَّ أن الإنسان ذاته هو المقصود بالهداية والإرشاد والتوجيه والإصلاح، فإذا ما أريد أن يصل إلى ما له وما عليه، فلابد أن يستكشف نفسه لتتضح له سائر جوانبها ونوازعها، حتى يكون على بصيرة منها وعلى مقدرة من ضبط وتقويم سلوكها.

المبحث الثاني

تأثير القرآن في غير المؤمنين

من المعلوم بداهة أنَّ الله تحدى بالقرآن الكريم الكافرين من أهل مكة وغيرهم أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان على إتيانهم بمثله أو بعضه وجزئه فعجزوا عن ذلك قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ الإسراء: ٨٨ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ يونس: ٣٨، والمثلية لا تقتضي المطابقة في المقصود والحدود، وإنَّما هو التشبيه ومحاولة الاقتراب من جزء منه دون جزء وهو تخفيف يظهر حجم التحدي في أعلى مستوياته وأدنى مستويات الضعف والعجز وعدم القدرة على المسايرة الناقصة لا التامة. قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ فصلت: ٢٦ .

وهذا دليل واضح على عجزهم عن معارضة هذا الكتاب العظيم فأصبح التأثير فيهم واضحاً وجلياً كما رويَ إنَّ أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق كان كل واحدٍ منهم يأتي من ناحية على غير موعد إلى حيث يستمعون من رسول الله ﷺ وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلسًا يستمع فيه وكلٌ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق وتلاوموا، وقال بعضهم: لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئًا ثم انصرفوا حتى إذ كانت الليل الثانية عاد كل رجل إلى مجلسه، فباتوا

يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق وتلاوموا، وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة عاد كل رجل إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا.

حتى إذا كانت الليلة الرابعة أخذ كل واحد منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا.

فلما أصبح الأخنس ذهب إلى أبي سفيان يسأله عما سمع فقال: خيراً، ثم خرج حتى أتى أبا جهل فدخل عليه فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد، فقال: ماذا سمعت! تنازعنا نحن وبنو مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهانٍ قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء! فمتى ندرك مثل هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدِّقه[1].

فحرصهم على سماعه ليلاً مما يدل على قوة التأثر به لكونه ليس من كلام البشر، ولكن العناد والمكابرة، حملهم على تركه وعدم الإيمان به ومنهم

أولاً الوليد بن المغيرة:

وهذا هو الوليد بن المغيرة وهو من أعتى المشركين وأشدهم أذى على رسول الله

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١ص٣٣٧ مرجع سابق.

ﷺ " يأتي إلى رسول الله "ﷺ فيقرأ عليه القرآن، فقرأ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل: ٩٠ فقال له أعد، فأعاد النبي ﷺ "، فقال الوليد بن المغيرة قولته: (والله إنَّ له لحلاوة وإنَّ عليه لطلاوة وإنَّ أعلاه لمثمر وإنَّ أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر).

فكأنما رق له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه وقال: يا عم إنَّ قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً، فقال: لم؟ قال: ليعطوكه، فإنَّك أتيت محمداً لتعرض ما قبله! قال علمت قريش أنِّي من أكثرها مالاً، قال: فقل في القرآن قولاً: قومك يعلم إنَّك منكر له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما منكم أحد ألهم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ثم يقول في وصفه مقالة التأثرية المفتون بجمال المستسلم لإعجازه (والله إنَّ لقوله لحلاوة وإنَّ عليه لطلاوة وإنَّه لمثمر أعلاه ومغدق أسفله وإنَّه ليعلو ولا يعلى عليه، وما هو من قول البشر)[1]. هنا التأثير البليغ الذي رق له قلبه وسيطر على جوارحه مما جعله يعيد تلك الكلمات التي سطرت في التاريخ تذكر على الألسنة إلى يوم القيامة فالحق ما شهدت به الأعداء.

---

(١)محمد أبو شهبة، ١٩٩٢م، المدخل لدراسة القرآن، دار الجيل، ط٢، ج٢٩٤/١، وابن هشام، السيرة النبوية، ج١ص٢٩٤ مرجع سابق.

ثانياً عتبة بن ربيعة:

عتبة بن ربيعة من سادة قريش، كان سيدًا حليمًا، ترسله قريش إلى محمد "ﷺ ليفاوضه باسم المشركين وليكون لسانها المعبر وعقلها المفكر، أرسلته قريش إلى رسول الله " ﷺ ليساومه على أن يدع ما هو عليه ويترك دعوته على أن يقدموا له ما شاء فيعرض عليه الطب إن كان ما يأتيه من قبيل الوساوس والجنون.

استمع النبي ﷺ " إلى عروضه السخية، وهذا قمة أدب النبي ﷺ: وخلقه مع خصومه وإقامة الحجة عليهم حتى إذا فرغ قال له رسول الله ﷺ " (أوقد فرغت يا أبا الوليد؟) قال: نعم قال: (فاسمع مني) قال: أفعل، فقال رسول الله ﷺ: " ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ فصلت: ١ – ٥ .

فلما سمعها عتبة أنصت إليه، وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ " إلى السجدة منها فسجد وسجد معه عتبة ثم قال له: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك هنا لم يلزمه النبي ﷺ: بما سمع بل جعله يحكم بنفسه لأنَّه رآه قد أظهر التأثر على جوارحه بسجوده مع رسول الله ﷺ: فقام عتبة إلى أصحابه وعند ما عاد إلى قومه وكان الأثر واضحًا ، فقال بعضهم لبعض، لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس، قالوا: ما وراءك، قال: ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، وهو ما بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله

ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، قالوا: سحرك بلسانه، قال: هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم[١] وهذا اعتراف خطير من عتبة أمام سادة قريش وكبرائهم بإعجاز القرآن الكريم وأثره في النفوس والقلوب والجوارح.

لم يكن من المشركين إزاء هذا التأثر العظيم بالمعجزة القرآنية إلا أنهم بدؤوا يعلنون إسلامهم الواحد تلو الآخر، مما أثار حفيظة المشركين، وجعلهم يفكرون بالوسائل التي يمكن بواسطتها التخفيف من أثر المعجزة القرآنية، فاتفقوا على أنْ لا يسمعوا القرآن ولا يمكّنوا أحداً من سماعه خشيةَ أن يتأثروا بإعجازه ويستجيبوا لهديه، كما اتفقوا على أن يلغوا في القرآن إذا قرأه رسول الله "ﷺ ـــ حتى يشوهوا فيما يزعمون ـــ جماله ويذهبون برونقه ويشوشوا على الناس لمنعهم من الإنصات إليه، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾ فصلت: ٢٦ . لأنَّهم إنْ سكتوا أسر قلوبهم وأذاب مشاعرهم وخشعت له أصواتهم مذعنين له لأنَّهم أفهم وأفصح باللغة والبلاغة الكلامية والمعاني السامية.

إلى هذه الدرجة كان لسماع القرآن الكريم أثره في نفوس أعدائه فهم يتشاغلون عنه ويتلهون بغيره، ويتعاهدون فيما بينهم على عدم الاقتراب من تاليه، حتى لا يصل آذانهم حتى إذا وقع بعضهم في ذلك قاصداً أو ناسياً لاموه وعنَّفوه وقالوا له: ﴿ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴾ الأنبياء: ٣ إلا إنَّهم رغم هذا لم يفلحوا، بل ربما

---

(١) إبراهيم الإنَّبياري، ١٩٩٤م، الموسوعة القرآنية الميسرة، مؤسسة سجل العرب، ج١، ص ٥٤ . محمد أبو زهرة، والمعجزة الكبرى القرآن، ص٦٧، دار الفكر العربي.

كان الأمر على نقيض مرادهم، فجمال القرآن لا يمكن تشويهه وإعجازه ولا يمكن إخفاؤه، فالشمس في رابعة النهار لا يمكن أن تحجب بكف أحمق. هذا هو أثر القرآن تنطق به آياته المباركة وينطق به كذلك واقع الناس في كل وقت وما زلنا نشاهد هذا الأثر في نفوس سامعيه خشوعًا وخضوعًا للحق إذا صفت الفطرة واستقامت النفوس.

إنَّ تأثير القرآن في القلوب قد بلغ مبلغًا عظيمًا لم يعرف قبله ولا بعده كلام قط، إذ تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم روعة وخشية وتعتريهم هيبته وتهيمن عليهم عظمته، ترى آثاره على الجاحدين أبلغ وأظهر، إذ يقرع ضلالهم ويقيم عليهم حججًا لا معقب لها فيستغلون سماعه ويتولون عنه بنفور مدبرين[1] قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ الإسراء: ٤٦ .

وقد شعر بعض زعماء الشرك أنَّ القرآن الكريم قد تملك قلوبهم، وأحسوا في أعماقهم هزة روعته فكانوا يستخفون من الناس ويسترقون السمع إليه ليلاً ورأوا في أتباعهم الذين تخالط بشاشة الإيمان قلوبهم بين عشية وضحاها من تأثير الآية والآيتين والسورة والسورتين، يتلوها رسول الله "ﷺ أو أحد أصحابه فتنقاد إليه نفوسٌ كانت متعصبة للأوثان فتهجرها وتسلك هدى القرآن علماً وعملاً، أدباً وخلقاً، فأدرك

---

(١) انظر: القضاة، خالد محمد، الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم، عمان: بحث مقدم إلى كلية الشريعة السابع إعجاز القرآن الكريم بجامعة الزرقاء، والمنعقد من ٢٣٢٥/٨/ ٢٠٠٥م، ص:١٤.

زعماء الشرك شدة أثر وخطر القرآن على سلطانهم ونفوذهم، فأوصوا أتباعهم أن يحولوا بينه وبين أنفسهم قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾ فصلت: ٢٦ .

وقد ورد في الصحيح عن جبير بن مطعم قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب سورة الطور فلما بلغ الآية: ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴾ الطور: ٣٥ – ٣٧ .

كاد قلبي أنَّ يطير للإسلام[١].و فيه دلالة واضحة على إنَّ سماع القرآن يؤثر في النفوس أثرًا ملموسًا إذا أخلص وأحسن الاستجابة وفقا لهدف القرآن الذي هو هدى وشفاء وفي رواية أخرى وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي[٢]. قال الخطابيَّ: كأنه انزعج عند سماع هذه الآية لفهمه معناها، ومعرفته بما تضمنته، ففهم الحجة فاستدرجها بلطيف طبعه، ثم قال: فلهذا انزعج جبير حتى كاد قلبه يطير، ومال إلى الإسلام[٣].إنَّ تأثير القرآن ونفاذه يستحيل أنْ تتحصن دونه القلوب، فإنَّه لو أنزل

---

(١) البخاري، محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ١٩٩٣م. صحيح البخاري. دمشق: دار العلوم الإنسانية. تحقيق مصطفى البغا. كتاب التفسير، تفسير سورة طه، ج٦ص٤٩.

(٢) عتر، حسن ضياء الدين، ١٩٨٩م، المعجزة الخالدة، مصر، الجيزة: دار النصر للطباعة والنشر، ط٢، ص١٤٤.

(٣) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ١٤٢٤ه/٢٠٠٣م، فتح الباري شرح صحيح البخاري، حقق أصلها: عبد العزيز بن باز، ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار الكتب العلمية ط٤، ج٨، ص٧٧٦، ٧٧٧.

على قمم الجبال لصدَّعها وشققها بما يودعه الله تعالى فيها من هيبته وجلاله ألا ترى أنه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره من العوام من الخشوع والسكينة وزيادة الإيمان ما لا يخفى، وذلك كله من دلائل معجزاته وعظيم آياته الدالة على نبوة سيدنا محمد ﷺ "[١].

وهذا الشاعر المعاصر (نقولا حنا)، قد تلا القرآن، فجذبه إليه وشغل قلبه وفؤاده، وزاده إيمانًا بالله على فطرته، وقذف في أعماق فكره وضميره يقينًا راسخًا بإنَّ القرآن هو كتاب الله المعجز العزيز، وإنَّه يسمو على سائر معجزات الأنبياء، فهو معجزةٌ إلهية خالدة تبرهن بنفسها على نفسها. وهكذا أعلن الشاعر إسلامه بأسلوب علمي بارع، قال نقولا حنا في مقدمة لقصيدته الرائعة "من وحي القرآن: قرأت القرآن فأذهلني، وتعمقت به ففتنني، ثم أعدت القراءة فآمنت، آمنت بالقرآن الإلهي العظيم، وبالرسول مَنْ حَمَله، النبي العربي الكريم، أمّا الله فمن نصرانيتي ورثت إيماني به، وبالفرقان عظُم هذا الإيمان وكيف لا أؤمن ومعجزة القرآن بين يديَّ أنظرها وأحسها كل حين هي معجزةٌ لا كبقية المعجزات معجزةٌ إلهية خالدة تدل بنفسها عن نفسها، وليست بحاجة لمن يتحدث عنها أو يبشر بها.وكم احتاجت وتحتاج الأديان السابقة إلى علماء ومبشرين وشواهد وحجج وبراهين.ما أعظم هذا الدين لو وُجد له رجال يحملونه وينشرونه ويهدون به الضّال ويرشدون به الحائر وما أشدّ

---

(١) القضاة، خالد محمد، الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم، عمان: بحث مقدم إلى كلية الشريعة السابع إعجاز القرآن الكريم بجامعة الزرقاء، والمنعقد من ٢٣ -٢٥/٨/ ٢٠٠٥م ، ص: ٣٧.

حاجة الناس إليه، فهل من مشمّر لحض الخلق على اعتناقه، إذ ليس لديه ما هو منظور محسوس يثبت أصوله في القلوب، أمَّا الإسلام فقد غني عن كل ذلك بالقرآن، فهو أعلم معلم وأهدى مبشر وهو أصدق شاهدًا وأبلغ حجةً وأدمغ برهانًا، هو المعجزة الخالدة خلود الواحد الأزلي، المنظورة المحسوسة في كل زمان، ومن إيماني العميق هذا استلهمت قصيدتي هذه:

من قصيدة " نقولا يوحنا " من وحي القرآن

يقولون ما آياته، ضَـلَّ سـعيُهم ... وآياته ليست تُعـدُّ عظـامُ [(١)]

كفى معجزٌ الفرقان للنـاس آيـةً ... علا وسما كالنجم لـيس يُـرامُ

فكلٌّ بليغ عنده ظـل صَـامتًا ... كان على الأفواه صِرَّ كمام[(٢)]

كفى نَصره فردًا تُعاديـه أُمَّـةٌ ... ومن ينصرِ الرحمنُ كيف يُضـامُ

وشاءَ إله العرش بالنـاس رحمـةً ... وأنْ يتلاشى حقـدهم وخصـامُ

ففرَّق ما بين الضـلالة والهـدى ... بفرقانِ نورٍ لم يَشُـبْهُ قَـتـامُ

أتاهم بقرآن السـلام رسـوله ... فطاف بأرجـاءِ الـبلاد سَـلاَمُ

كتابُ هدىً لا ريبَ فيه مُشـرِّعٌ ... وللسلم والعُمران فيـه دِعـامُ

مفصلةٌ آياتُـه عـربيـةٌ ... فصاح بها عزُّ البيـان عِظـامُ

تلا كتب التنزيل لكـنْ مكمِّـلاً ... فذي أولُ التشريع وهـو خِتـامُ

---

(١) عظام ". والمراد: إنَّ آيات النبي " معجزاته"عظيمة جداً وكثيرة لا يحيط بها العد والإحصاء.

(٢) الصر: الشد أو الربط، والكمام: ما يكم به فم البعير لئلا يأكل أو يعض.

فصيـــحٌ بليـــغٌ نطقُـــه وبيانُـــه قـــريبٌ بعيـــدٌ فهمه ومـــــرامُ
تنـــزه عن هُجرٍ فما اللفظ فاحشٌ ولا فيـــه بهتانٌ وليس يذامُ [(١)]

وهذا الدكتور لويس سلك طريقاً أكثر قربًا من الإسلام فبحث عن مركز إسلاميٍّ في ضاحيته وقرر أن يدرس اللغة العربية ويعرف المزيد عن القرآن الكريم بلغة القرآن مباشرة و لم تطل الفترة ففي خلال ثلاثة أشهر فقط أعلن إسلامه واختار أن يكون اسمه مركّبًا من اسم النبي ﷺ فكان اسمه محمد أمين إنَّه لم يستطع أن ينسى ذلك الشعور الّذي هزّه عندما سمع شيخًا يقرأ القرآن قبل دخوله في الإسلام على الرغم من أنه لم يكن يفهم اللغة العربية حينئذ إلَّا أنَّ القرآن الكريم كان يمس جزءًا من روحه حتى أعلنها بسهوله متناهية (لا اله إلا الله محمدٌ رسول الله) وأصبح يحس ويرى ويسمع ويشعر بكل ذرة في كيانه بمعنى وحقيقة قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾ فصلت: ٢٦ .

ومنذ ذلك التاريخ بدأ يُعنى بتعليم نفسه وأسرته الإسلام ويحاول أن يحفظ القرآن الكريم ويتعلم اللغة العربية والتحق بحلقة الندوة العالمية للشباب الإسلامي لتعليم القرآن الكريم في(ساو بولو) ودرس التجويد(٢).

ويقول سيد قطب في كتابه (في ظلال القرآن): إنَّ الأداء القرآني يمتاز ويتميز عن الأداء البشري، أن له سلطانًا عجيبًا على القلوب ليس للأداء البشرى، حتى

---

(١) أي يذم ويعاب.

(٢) مجلة المستقبل الإسلامية، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، العدد ١١٦، ٢٠٠١م، ص:٥٢.

ليبلغ أحيانًا أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون من العربية حرفًا، وهناك حوادث عجيبة لا يمكن تفسيرها بغير هذا الذي نقول: وإنْ لم تكن هي القاعدة – ولكن وقوعها يحتاج إلى تفسير وتعليل ولن أذكر نماذج مما وقع لغيري، ولكني أذكر حادثًا وقع لي وكان عليه معي شهود ستة، وذلك منذ حوالي خمسة عشر عاما.

قال كنا ستة نفر من المنتسبين للإسلام على ظهر سفينة مصرية تمخر بنا عباب المحيط الأطلسي إلى نيويورك، من بين عشرين ومائة راكب وراكبة أجانب ليس فيهم مسلم، وخطر لنا أن نقيم صلاة الجمعة في المحيط على ظهر السفينة! والله يعلم إنَّه لم يكن بنا أنْ نقيم الصلاة ذاتها أكثر مما كان حماسةً دينيةً إزاء مبشرٍ كان يزاول عمله على ظهر السفينة وحاول أن يزاول تبشيره معنا، وقد يسَّر لنا قائد السفينة وكان إنجليزيًا، أنْ نقيم صلاتنا وسمح لبحار السفينة وطاقمها وخدمها وكلُّهم نوبيون مسلمون أنْ يصلي منهم معنا من لا يكون في الخدمة وقت الصلاة وقد فرحوا بهذا فرحًا شديدًا إذ كانت المرة الأولى التي تقام فيها صلاة الجمعة على ظهر السفينة وقمت بخطبة الجمعة وإمامة الصلاة والركاب الأجانب معظمهم متحلقون يرقبون صلاتنا وبعد الصلاة جاءنا كثيرون منهم يهنئوننا على نجاح "القداس" فقد كان هذا أقصى ما يفهمونه من صلاتنا ولكن سيدة من هذا الحشد عرفنا فيما بعد أنها يوغسلافية مسيحية هاربة من جحيم "تيتو" وشيوعيته كانت شديدة التأثر والانفعال، تفيض عينها بالدمع ولا تتمالك مشاعرها جاءت تشد على أيدينا بحرارة وتقول في إنجليزية ضعيفة إنَّها لا تتمالك

نفسها من التأثر العميق بصلاتنا هذه وما فيها من خشوع ونظام وروح وليس هذا موضوع الشاهد في القصة، ولكن ذلك كان في قولها: أي لغة هذه التي كان يتحدث بها قسيسكم فالمسكينة لا تتصور أن يقيم الصلاة إلا قسيس أو رجل دين كما هو الحال عندها في مسيحية الكنيسة وقد صححنا لها المفهوم أجبناها فقالت: إنَّ اللغة التي يتحدث بها ذات إيقاع موسيقي عجيب، وإنْ كنت لم أفهم منها حرفًا. ثم كانت المفاجأة الحقيقية لنا وهي تقول: ولكن هذا ليس الموضوع الذي أريد أن أسأل عنه، إنَّ الموضوع الذي لفت حسي، هو أن الإمام كانت ترد في أثناء كلامه بهذه اللغة الموسيقية فقرأت من نوع آخر غير بقية كلامه نوع أكثر موسيقية وأعمق إيقاعًا، هذه الفقرات الخاصة كانت تحدث في رعشة وقشعريرة إنَّها شيء أخر كما لو كان الإمام مملوءًا من الروح القدس حسب تعبيرها المستمد من مسيحيتها وتفكرنا قليلاً ثم أدركنا أنها تعني الآيات القرآنية التي وردت في أثناء خطبة الجمعة في أثناء الصلاة وكانت مع ذلك – مفاجأة لنا تدعو إلى الدهشة، من سيدةٍ لا تفهم مما نقول شيئًا وصدق الله القائل: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الحشر: ٢١ فهلا تدبرنا القرآن وازددنا به إيمانًا؟

الخاتمة

أهم نتائج البحث الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وأشكره على ما من به من إتمام هذا البحث وإنجاز العمل والذي خلصت منه بالنتائج التالية:

١. الأثر الكبير للقرآن الذي يحدثه في النفوس.

٢. أن العلماء قد تناولوا أثر القرآن على النفوس منبهين على هذا الإعجاز في نشأته الأولى وأنه عندما لامس قلوب المشركين والجاهلين تحول بعضهم إلى الإسلام وامتنع الآخرون عناداً واستكبارا.

٣. أن القرآن له تأثير واضح في الشفاء في إحداث الراحة النفسية والشعور بالطمأنينة.

٤. أن النظرة القرآنية الإعجازية فكرة عملية تطبيقية، تشكل وحدة متكاملة، تؤثر في علاج جوانب النفس الإنسانية.

٥. نجاح وصواب المنهج القرآني المعتدل والمتزن والواقعي والمثالي في التعامل مع النفس الإنسانية، في مقابل قصور المناهج البشريَّة، لأنها لم تتوازن، ولم تتضح لها الرؤيا السليمة الصحيحة في هذا الجانب.

المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم
٢. القاضي عياض: أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي ١٤١٥ه -١٩٩٥م كتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى لبنان :دار الفكر ج١ ص٢٠٧ -٢٠٨
٣. الآلوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج٩، ص١٦٥.
٤. القرطبي، أبو محمد عبد الله محمد بن احمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، ج٧، ص٢٩٨، مرجع سابق.
٥. ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي. تفسير القرآن العظيم، السعودية دار طيبة.
٦. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان المؤلف، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول ١٤٢٠هـ.
٧. العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري: بتحقيق: عبد العزيز بن باز، رقم ١/كتب والأبواب والأحاديث: محمد فؤاد عبد الباقي، ٢٠١١م بيروت: الدار العلمية ط ٤ ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
٨. النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف الدين، التبيان في آداب حملة القرآن، دمشق: الوكالة العامة للتوزيع، ط١ ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٩. الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله،(٢٠١)، ١٤١٥ هـ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٤.
١٠. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م، صفة الصفوة: بيروت: دار المعرفة، ط٢، ١ / ٢٩٤.
١١. المروزي، محمد بن نصر، مختصر قيام الليل، الرياض: مكتبة المنار، ط١، طبعته: ١٤١٣هـ .

١٢. النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف الدين، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، التبيان في آداب حملة القرآن، دمشق: الوكالة العامة للتوزيع، ط١.
١٣. القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، أحكام القرآن، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية.
١٤. عبد الله عبد الرحمن جربوع: أثر القرآن في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، مكتبة أضواء السلف، ط١.
١٥. محمد محمود الصوَّاف: القرآن أنواره وآثاره وأوصافه، مؤسسة الرسالة، ط٥.
١٦. محمد أبو شهبة: المدخل لدراسة القرآن، دار الجيل، ط٢.
١٧. إبراهيم الإنَّبياري، ١٩٩٤م، الموسوعة القرآنية الميسرة، مؤسسة سجل العرب.
١٨. محمد أبو زهرة: والمعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي بيروت لبنان.
١٩. القضاة: خالد محمد، الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم، عمان: بحث مقدم إلى المؤتمر السابع لإعجاز القرآن الكريم بجامعة الزرقاء، والمنعقد من ٨/٢٣٢٥/ ٢٠٠٥م.
٢٠. البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة. صحيح البخاري. دمشق: دار العلوم الإنسانية. تحقيق مصطفى البغا.
٢١. عتر: حسن ضياء الدين، المعجزة الخالدة، مصر/ الجيزة/ دار النصر للطباعة والنشر، ط٢.عظام "والمراد: إنَّ آيات النبي"معجزاته"عظيمة جداً وكثيرة لا يحيط بها العد والإحصاء. مجلة المستقبل الإسلامية، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، العدد ١١٦، ٢٠٠١م.